









## اللغة الأم والهوية

اللغة الأم، هي اللغة الأصل التي منها تتفرع اللغات أو اللهجات الأخرى.

وكمثال:

اللغة الأم أو اللغة الأصل لعائلة اللغات السامية هي اللغة الأكادية (الآشورية البابلية) الأم، كما هي اللغة اللاتينية، اللغة الأم لكثير من اللغات في أوروبا اليوم. وأحد معاني الأم في لغتنا هو: الأصل، وإلى اليوم فإن بعض أسباط شعبنا الآشوري يقولون للخثرة (خميرة اللبن): الأم، بمعنى الأصل. وفي اللغة الإنكليزية أيضاً، فإن أحد معاني (Mother Tongu) هو: اللغة الأم أو الأصل.

علمياً وكذلك إيمانياً، أنّ الإنسان هو ابن الأرض، منها جُبل، وإليها يعود، وكذلك لغة الإنسان هي بنت الأرض. ومتى يعود الإنسان إلى الأرض وأين يعود، عندئذ لا فرق هناك بين لغة الملوك ولغة العبيد، بين لغة الأغنياء ولغة الفقراء. إذن: الأرض هي التي تنبت اللغات وتصيغ اللهجات واللكنات. لهذا، كل اللغات الأم تنتمي إلى أرض (جغرافياً)، وتكون مرتبطة ومعروفة بها، تتقوى حيث توجد (الأرض) وتضعف حيث لا توجد. واللغة الأم هي التي ترسم وتنسج هوية أمة ما أو الشعب الذي يتكلم بتلك اللغة، ومن هنا جاء الرأي الذي يؤكد: أنّ هوية الإنسان

مرتبطة بلغته الأم وعن طريق اللغة الأم تُعرف هوية شخص ما أو هوية المجتمع أو الشعب أو أمة ما أو وطن ما، أي إذا وُجدت الأرض كانت هناك اللغة الأم وإذا وُجدت اللغة الأم فإن الهوية القومية لن تضيع، وإذا فقدت أمة ما أراضيها التاريخية فسوف تفقد لغتها الأم شيئاً فشيئاً، وإذا ضاعت اللغة الأم، فلا بدّ سوف تضيع الهوية.

إذاً: العنصر الحاسم في نسج الهوية القومية هو اللغة الأم المرتبطة بالأرض برباط محكم جداً، وممزوج بدم شهداء الأمة، وبعرق جبين وارتثها. هكذا فإن الأمر الأكثر ضرورة لحفظ اللغة الأم هو مسك الأرض بقوة، والإلتصاق بها بشدّة، وليس تركها مهما فسدت أحوال البقاء، وقست سُبُل الحياة.

في مدينة الموصل وسهل نينوى، استطاع أعداؤنا أن يقتلوا منا ويسلبوا أراضيها، ونجحوا في احتلال قصورنا وأماكننا، ويهدموا كنائسنا وأديرتنا التي هي بقدم مسيحيّتنا المشرقية. لكن لم يستطيعوا أن يسرقوا أو يمحوا أو يمسحوا هويتنا، طالما لغتنا الأم حيّة ومتداولة ومحفوظة في حياتنا اليومية، وما دامت لغتنا تشكل العمود الأوسط في خيمة هويتنا. وكمثال فقط نقول: مثل هذا حدث في زمن (فرمان السيف) في كنيسة المشرق في التاريخ القريب، حيث سُلبت منها أراضيها وأديرتها وممتلكاتها وجزء من تاريخها، لكن لغتها القومية لا زالت مرتبطة بها بقوة، وتستعملها يوميا في حياتها المادية والروحانية. والكنيسة، أية كنيسة كانت، طالما

هي مرتبطة باللغة الأصلية لإيمانها سيكون لها هويتها المتميزة والخاصة، لذا لا خطر وخوف على إيمانها وعقيدتها، طالما هي حافظة للغتها وما ينسب إليها (اللغة).

وفي مسألة الهوية واللغة الأم، فإن المثال أو النموذج الماروني لا زال حياً، وليس غائباً عن بال المفكرين القوميين في منطقتنا، حيث أضعوا هويتهم السريانية عندما أضعوا لغتهم القومية السريانية لصالح اللغة العربية منذ نهاية القرن الثامن عشر، واليوم يعتبرون أنفسهم عرباً أكثر من العرب أنفسهم. وإلى قبل بضعة عقود، لم يكن هناك خوف على مسيحيتهم، ولكن اليوم وبعد مئتي سنة من ترك لغتهم السريانية الأم، بدأت العروبة تُهدد حتى مسيحيتهم. وهذا التهديد الذي نتج من فقدان اللغة الأم سوف يأتي على كل أمة تفقد لغتها القومية الأصلية، إلى أن تصل الحال إلى الخوف من ضياع هويتها إذا لم تنتبه لحالها!.

ولأجل إدامة حياة هويتنا القومية نرى ضرورة أن نرفع هذا الشعار:

(كن مواطناً في الشارع، وسريانياً في البيت)، أي استعمل لغة البلد في الشارع، واللغة القومية في البيت. لأن الهوية هي الإستعمال اليومي للغة في البيت والمدرسة والكنيسة والنشاطات الثقافية والفنية والأدبية، والروحية أيضاً، وهي ما للأمة من آداب وفنون وغناء وطقوس وعادات .. الخ. نعم، نحن الذين لا وطن مستقل خاص بنا، هويتنا القومية مرتبطة بلغتنا القومية، وخاصة في أوطاننا الأم

التاريخية، لأن كل تراث آباءنا القديمة وصل إلينا عن طريق لغتنا الأم. ونعم إن  
أضعنا لغتنا الأم، سوف نفقد هويتنا أيّ كان اسمنا، وحينها سوف لن يُسعفنا اي  
اسم، ولن يخلصنا من رحيل لغتنا إلى الهلاك، وترك هويتنا للذكرى..

نائب رئيس التحرير

